

تفسير البحر المحيط

@ 163 @ حلفه : وحق البيت الذي زرت ، يعلم أنه حاج ، وإذا لاح له فلس يثب عليه وثوب الأسد على الفريسة ، ولا يلحقه شيء من الواسوس ، ولا من إحضار النية في أخذه ، وتراه يحب الثناء عليه بالأوصاف الجميلة التي هو عارضها . وقيل : المعنى لا يزكي بعضكم بعضاً تزكية السمعة أو المدح للدنيا ، أو تزكية بالقطع . وأما التزكية لإثبات الحقوق فجائزة للضرورة . . .

والجنين : ما كان في البطن ، فإذا خرج سمي ولداً أو سقطاً . وقوله : { فَي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ } تنبيه على كمال العلم والقدرة ، فإن بطن الأم في غاية الظلمة ، ومن علم حاله وهو مجنن ، لا يخفى عليه حاله وهو طاهر . { بِمَنْ اتَّعَى } : قيل الشرك . وقال علي : عمل حسنة وارعوى عن معصية . .

قوله عز وجل : { أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا * وَأَكْدَى * عَلِمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى * أَمْ * أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ * بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * وَفِي الْخُرَّةِ * تَزْرُؤُ وَازْرَرَةُ * وَزُرَّ * أُخْرَى * وَإِنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا * مَا سَعَى * وَأَنْ * سَعْيُهُ * سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ * يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْوَفَى * وَأَنْ * إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى * وَأَنْ * هُوَ أَضْحَكَ * وَأَبْكَى * وَأَنْ * هُوَ أَمَاتَ * وَأَحْيَا * وَأَنْ * خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * مِنْ نَسْطَفَةِ إِذَا تُمْنَى * وَأَنْ * عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَى * وَأَنْ * هُوَ أَغْنَى * وَأَفْنَى * وَأَنْ * هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى * وَأَنْ * أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ * فَمَا أَبْقَى * وَقَوْمَ نُوحٍ * مَنْ قَبْلُ * إِنْ نَّهْمُ كَانُوا * هُمْ * أَطْلَمَ * وَأَطْغَى * وَالْمُؤُوتِ فَكَّةَ * أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى * هَذَا * نَذِيرٌ * مِنَ النَّذُرِ الْأُولَى * أَزْفَتِ الْأَرْفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةُ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ * وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ * وَاعْبُدُوا } . .

{ أَفَرَأَيْتَ } الآية ، قال مجاهد وابن زيد ومقاتل : نزلت في الوليد بن المغيرة ، كان قد سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس إليه ووعظه ، ففهم من الإسلام ، وطمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إنه عاتبه رجل من المشركين ، فقال له : أتترك ملة آبائك ؟ ارجع إلى دينك واثبت عليه ، وأنا أتحمل لك بكل شيء تخافه في الآخرة ،

لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال . فوافقه الوليد على ذلك ، ورجع عن ما هم به من الإسلام ، وضل ضلالاً بعيداً ، وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ، ثم أمسك عنه وشح . وقال الضحاك : هو النضر بن الحرث ، أعطى خمس فلايس لفقير من المهاجرين حتى ارتد عن دينه ، وضمن له أن يحمل عنه مآثم رجوعه . وقال السدي : نزلت في العاصي بن وائل السهمي ، كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم) في بعض الأمور . وقال محمد بن كعب : في أبي جهل بن هشام ، قال : والله ما يأمر محمد إلا بمكارم الأخلاق . وروي عن ابن عباس والسدي أنها نزلت في عثمان بن عفان ، رضي الله تعالى عنه ؛ كان يتصدق ، فقال له أخوه من الرضاة عبد الله بن سعد بن أبي سرح نحواً من كلام القائل للوليد بن المغيرة الذي بدأنا به . وذكر القصة بتمامها الزمخشري ، ولم يذكر في سبب النزول غيرها . قال ابن عطية : وذلك كله عندي باطل ، وعثمان رضي الله عنه منزّه عن مثله . انتهى . .

وأفرايت هنا بمعنى : أخبرني ، ومفعولها الأول الموصول ، والثاني الجملة الاستفهامية ، وهي : { عَلِمُ الْغَيْبَ فَهُوَ } . و { تَوَلَّى } : أي أعرض عن الإسلام . وقال الزمخشري : { تَوَلَّى } : ترك المركز يوم أحد . انتهى . لما جعل الآية نزلت في عثمان ، فسر التولي بهذا . وإذا ذكر التولي غير مقيد في القرآن ، فأكثر استعماله أنه استعارة عن عدم الدخول في الإيمان . { وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى } ، قال ابن عباس : أطاع قليلاً ثم عصى . وقال مجاهد : أعطى قليلاً من نفسه